المضمون الإسلامي في شعر علية الجعار
دراسة نقدية

د. وجيه يعقوب السيد*

مدخل:

لا شك أن المناهج النقدية التي تدرس الأدب كثيرة ومتعددة، وهذه المناهج تخضع في مجملها لمجموعة من التصورات والمقاييس التي وضعها نقاد هذا المنهج أو ذاك.

فقد حاولت بعض المناهج النقدية أن تزج بالأدب والأديب في غمار السياسة، وتوظف أدبه لخدمة أهداف سياسية معينة، حتى وإن كان هذا التوظيف يتم بشكل ساذج وسطحي، ومن ثم فقد تغاضت عن جماليات القصيدة، وأغفلت دراسة الشكل الفني فيها. وهذا نوع من المغالاة يحيد بالأدب عن موضوعه الأساسي، وأصبحت القصيدة الجيدة هي ما تتوافق فكرياً مع الطبقة أو الجماعة المسيطرة، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى دراسات الواقعية الاشتراكية، التي قدمها نقاد هذا الاتجاه [1].

كما أن القراءة الذوقية التأثيرية التي تستند على ثقافة الناقد ورؤيته، حادت بالنقد عن طبيعته، فجعلت الناقد بمثابة القاضي الذي تُعرض أمامه القضية وينتظر المذنب - المبدع - حكمه بالإدانة أو التبرئة، وفي كلتا الحالتين لا يخلو حكم الناقد من شبهة التحامل أو المجاملة. ويكفي في هذا الصدد الإشارة إلى العقاد والمازني في نقدهما لشوقي وعبد الرحمن شكري، حيث اتهم العقاد شوقي بالسطحية والركاكة وافتقاد شعره إلى ما أسماه بالوحدة العضوية، كما حمل المازني على صديقه القديم عبد الرحمن شكري، الذي أسماه: صنم الألاعيب واتهمه

(*) مدرس الأدب والنقد بكلية الألسن جامعة عين شمس - القاهرة.

(١) انظر غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين؟ و«المنتقى»، ومحمود أمين العالم، وحسين مروة وعبد العظيم أنيس وغيرهم.

obeikandl.com

بالجنون والمرض، ولم يكن العقاد والمازني يستندان في حكمهما السابق على أصول نقدية وموضوعية متعارف عليها، حتى يمكن الاعتداد بها[١]. وهذا يضع القراءة الذوقية التأثرية أمام مأزق حقيقي، لأنها تفتقد إلى المعايير العلمية الدقيقة، ولا يمكن أن تخلو من الذاتية، التي إن أرضت البعض، فإنها لا ترضي الكل.

وحينما بدأنا نولي أنظارنا تجاه الغرب لنقتبس منه مناهج حديثة لنقد الأدب ظهرت العديد من المدارس النقدية: التاريخية والنفسية واللغوية، وكان أبرز هذه المناهج هو المنهج اللغوي، وتمثل ذلك في الأسلوبية، والبنيوية وما بعدها، ونظرية القراءة، والقاسم المشترك بين هذه المناهج جميعاً هو أنها تتخذ من اللغة وحدها وسيلة لتحليل النص الأدبي مع إهمال العوامل التاريخية والاجتماعية والنفسية التي ساعدت على إبداع النص الأدبي. وحجتها في ذلك أن الحديث عن هذه العوامل إنما هو حديث عما هو خارج النص، فإذا أردنا أن نحلل النص تحليلاً صحيحاً فعلينا أن نبدأ من النص ذاته باعتباره لغة.

والحق أن التفاعل مع النص الإبداعي شرط أساسي لكي يستطيع الناقد اكتشاف أسرار النص، ومهما ادعى الناقد الحيادية والموضوعية، فإن ذلك مما لا يتيسر له، وإلا فما السبب الذي جعله يختار هذا النص بالذات ويؤثره على نصوص أخرى؟.

على أن النقد العربي القديم - وليس هذا من باب اجترار الماضي - لم يخل من هذا النقد اللغوي، سواء بالشرح والتفسير وتحليل المفردة والجملة والتركيب والصورة الشعرية وغير ذلك، ويكفي الرجوع إلى كثير من كتب البلاغة العربية القديمة، وخاصة ما كتبه الشيخ عبد القاهر الجرجاني في «أسرار البلاغة» و«إعجاز القرآن»، حول النظم، وهي تعد نظرية لغوية في المقام الأول حيث تدرس التراكيب اللغوية وخصوصيتها وأثرها في تعدد المعنى.

(١) انظر: الديوان، تأليف: العقاد والمازني.

القراءة الإسلامية للأدب:

إذا كانت هذه هي أهم المناهج والقراءات النقدية المختلفة السائدة على الساحة الأدبية الآن، فما موقع القراءة النقدية الإسلامية بينها؟

لقد تحدث النقاد والأدباء عن نظريات للنقد الإسلامي، ولكل ناقد وأديب اجتهاداته في هذا المجال، ولا أحسب بحال من الأحوال أنه يمكن الاتفاق على وضع تصور مطلق لنظرية نقدية إسلامية، لأن مجال الاختلاف حول طبيعة الفن والأدب كبير، بعدد من يتصدون لوضع هذه التصورات. لذلك أرى أنه من حق كل ناقد الاجتهاد في هذا المجال، وتقديم ما يتصوره حول مفهومه لنظرية النقد الإسلامي. وهذا ما سأحاول أن أفعله بدوري في هذه القراءة إن شاء الله تعالى.

إن القراءة الإسلامية للنص الأدبي في نظري يجب أن تتحرك في مستويين: مستوى المضمون ومستوى الشكل. فتنظر في المضمون إلى مدى انسجام رؤية المبدع للكون والحياة مع الرؤية الإسلامية، فلا شك أن الإبداع الذي ينشأ في ظل التصور الإسلامي الصحيح يسعى إلى تأكيد هويته وخصوصيته الإسلامية من خلال التعبير الجاد عن القضايا الإسلامية، ولا يعاب على الأديب الالتزام بالتصور الإسلامي في كل ما يطرحه من قضايا، ولا يعني التزام الأديب بالتصور الإسلامي أنه لا يتمتع بالحرية الكافية التي يتمتع بها الآخرون. إن الحرية في التصور الإسلامي ليست مطلقة، ولكنها الحرية المسؤولة، ولو كانت مطلقة لاستحالت الحياة إلى فوضى، ولظهرت نزعات لايمكن درء خطرها عن المجتمع، وأمامنا النموذج الغربي للحرية مثال على ذلك.

أما المستوى الشكلي أو الشكل الفني، فإن الأديب المسلم الذي تشبع بالروح الإسلامية عقيدة وفهماً، لا شك أن ذلك سوف ينعكس على معالجته الفنية سواء بدا ذلك في معجمه بألفاظه ومعانيه واقتباساته وتضميناته أو في تجسيده لمفردات الحياة الإسلامية وتحويلها إلى صور ناطقة واشكال فنية لها دلالتها.

وعلى ذلك فإن المنهج النقدي، يجب أن يتسم بالمرونة، ويفسح المجال للتجربة الأدبية لكي تقدم نفسها من خلال خصوصيتها وتفردها، ولا يجوز أبداً أن يسجن الإبداع داخل قفص حديدي، بل علينا أن نوفر له الأجواء المناسبة لكي يحلق في عالم الخيال، والقراءة الإسلامية قادرة على ذلك، لأنها نابعة من التصور الإسلامي الرحب الذي يؤمن بالاختلاف وتعددية الآراء والاجتهادات.

علية الجعار وديوانها الأول:

علية الجعار شاعرة إسلامية ذات صوت جهير، وقد لاحظ الشاعر الكبير أحمد رامي ذلك في مقدمته لديوانها الأول «إني أحب» الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٨، فقد كتب عنها يقول:

«هذه شاعرة صادقة الإحساس، ترسل الشعر على سجيتها على حسب ما يوحي إليها الخاطر، وهي بين وازع الدين وهوى النفس فراشة ترف على روض زاهر - لا تدري إذا وقعت على زهرة منه هل كانت تجد في رحيقها حلواً ترشفه أو مراً تعزف عنه؟ على أن لها من طيب السجايا وطهارة الروح ما يدفعها إلى المجتنى الأمين» [١].

والحق أن ما كتبه أحمد رامي يعبر عن طبيعة المرحلة التي كانت تعيشها علية الجعار، وهي مرحلة الشباب، التي كانت تتنازع الشاعرة فيها نوازع شتى، فهي حائرة بين الاعتراف بأشواقها ولواعج نفسها، وبين المحافظة على تقاليدها وتقاليد مجتمعها وما يمليه عليها دينها.

فهي تحب وتصرح بحبها في أكثر من قصيدة، لكن لا تعرف إن كان هذا التصريح من حقها أم لا، ولذلك نراها في ختام القصيدة تتراجع عن ذلك مما يؤكد على عدم تبنيها لموقف معين وواضح في ذاك الوقت.

تقول في قصيدة «ثورة» [٢]:

---

(١) أحمد رامي: مقدمة ديوان «إني أحب» لعلية الجعار، توزيع دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٦٨، ص٦.
(٢) السابق: ص١٦ .

فأخرس العقل قلبي ثم قيده … في معبد بضلوعي خشية الزلل

فعاش في سجنه والعمر يجرفه … في لجة اليأس في بحر من الملل

وضاع مني صباً أصبحت أندبه … وهل يحن الصبا يوماً ويرجع لي

أحطم القيد عن قلبي وأطلقه … حراً يهيم بدنيا الحب والأمل

وأنفض العقل عن عقلي وأغرقه … في لجة اللهو والأحلام والخبل

لكي أعيش كما أهوى يؤيدني … عقل تجرد من خوفي ومن خجلي

مازلت في ثورة تغلي مراجلها … لولا الحياء ولولا الخوف من رجلي

ولن أعوض ما قد فات من أجلي … مادمت أحيا بعقل خائف وجل

ولا نريد أن نحاكم الشاعرة فنياً على هذا الديوان، لأنه - كما أشرت - جاء في مرحلة مبكرة من حياتها، حتى إن الأستاذ رامي نصحها بعدم تعجل النشر، لكن حماسة الشباب تغلب على حكمة الشيوخ، لذلك نجد الشاعرة في هذا الديوان لم تنضج فنياً وفكرياً بشكل كاف، فبدت الأفكار مضطربة، وغلب عليها التكرار، كما خلت من الصور الفنية.

ولا شك أن كثيراً من الشعراء في بداية رحلتهم مع الشعر يميلون إلى التقليد والتعلق بالآخرين حتى يستقلوا بعد ذلك بشخصيتهم الفنية ويحفروا لأنفسهم طريقة خاصة في الكتابة، وهذا واضح في الديوان الأول لعلية الجعار.

ففي قصيدتها عن محمد ﷺ نجدها تدور في فلك البردة للبوصيري دون أن تتقدم خطوة فتعكس لنا إحساسها الخاص وتجلي لنا موقفها من هذا النموذج الإنساني الفذ.

فمن الأبيات التي تتفق في المعنى وتقترب في الصياغة مع بردة البوصيري قولها:

obeikandi.com

إني أحب وحـــبي لا يعـــادله في معرض البذل أموال ولا أهل

وقولها:

محمد سيد الدنيا ورحمتها من لفحة الكفر أنت الفيء والظل

أنت العظيم الذي رباه خالقه أنت الرسول الذي ائتمت به الرسل

وقولها:

يالائمي في الهوى من ذاك يفضله هو الفضيلة والإقدام والنبل[١]

كما نجد أن مفهوم الحب الإلهي عند علية الجعار في هذا الديوان يقترب من مفهوم الصوفية للعشق الإلهي، وخاصة عند رابعة العدوية، فنجدها تقول مخاطبة (الله) المحبوب:

الحب منك إليك أنت خلقته ووهبت لي قلباً يحس ويخفق

أهوى الوجود جميعه أرنو له فيهزني حسن بديع مشرق

هذا الجمال بصمته وجلاله ببديع حسنك يا إلهي ينطق[٢]

هذا ولم يخل الديوان الأول للشاعرة من الوقوع في بعض المخالفات للتصور الإسلامي، سواء في بعض الألفاظ أو في بعض المعاني، وهذا راجع في نظري إلى فهم معنى الواقعية بصورة حرفية، حيث يلجأ الشاعر إلى رصد المفردات والصور كما هي في الواقع للتعبير عن القيم السائدة في المجتمع وتصويرها بشكل واقعي، فقد جاءت فترة على الشعراء والأدباء عبروا فيها عن الحب بلفظ العبادة وذلك للمبالغة في إظهار الحب والشوق، وهذا من الأخطاء غير المقبولة في العقيدة وفي الفن كذلك، لأن الحب لا يعبر عنه بالعبادة فقد وضعت العربية لذلك ألفاظاً تتدرج

(١) السابق: صفحات: ٩٢، ٩٣، ٩٤.

(٢) السابق: ص٧٩.

obeikandl.com

من الميل وحتى تصل إلى قمة العشق فهناك الود والهوى والعشق والغرام والهيام.. إلخ وهي ألفاظ كافية لإظهار الحب والمبالغة في التعبير عنه.

تقول علية الجعار في قصيدة «ثورة الكبرياء»:

لا لن أعود إلى هوا ك فإنه ذل مهين

إن كان حبك قد عبد ت فقد كفرت بما أدين

حاشا لقلبي أن يطا طئ للهوى حر الجبين (١)

وقد آثرت أن أشير لهذا الديوان في هذه الدراسة في البداية - رغم أن الشاعرة تعتبره مجرد مرحلة انقضت من عمرها الفني - وذلك لكي نرصد مراحل التطور في شعر علية الجعار الذي بدأ عاطفياً وذاتياً، ثم تحول بعد ذلك إلى شعر ديني يدور في فلك العقيدة، وأصبح له توجهات إسلامية واضحة كما سنلاحظ في ديوانيها «على أعتاب الرضا» و«ابنة الإسلام»، وسوف نلاحظ أن الشاعرة تحدثت في كثير من الموضوعات وصبغتها بالصبغة الإسلامية، وإن كان مستوى الخطاب الشعري ظل ثابتاً واتخذ صورة واحدة.

الأغراض الشعرية في شعر علية الجعار:

أولاً: الحب الإلهي والحديث عن صفات الله وأسمائه الحسنى:

الحديث عن صفات الله وأسمائه ومحبته حديث محبب إلى النفس، وحب الله دليل على صحة الإيمان. وقد قطع المتصوفة في ذلك شوطاً بعيداً أحياناً إلى حد الشطط والغلو، حتى زعموا أن الله يحل ويتحد بهم. وهذه النظرة لا تستقيم مع العقيدة الصحيحة، ومن ذلك قول الحلاج:

حويت بكلّى كلَّ كلّك يا قدسي تكاشفني حتى كأنك في نفسي

أقلب قلبي في سواك فلا أرى سوى وحشتي منه وأنت به أنسي

(١) السابق: - ٦٧.

وعلى الرغم من رقة هذا الشعر وعذوبته، وصدوره - ربما - عن عاطفة صادقة في حبها، فإن الشاعر هنا فإن لا يصدر عن عقيدة صحيحة:

والملاحظ على شعر علية الجعار في هذا الجانب، أنه نجا من التأثر بهذه الشطحات، واحتفظ بصدق العاطفة وحرارتها.

ففي قصيدة «ابتهال» تجعل الشاعرة حبها لله وسيلة لطلب الرحمة والمغفرة، فهو حب إيجابي، يحرك لديها الرغبة في عمل الخير والرغبة في الاستغفار والتوبة كما أنه منضبط بالعقيدة:

جلت صفاتك يا غفار لي أمل

في العفو عندك إن خفت موازيني

حسبي العقيدة والإيمان يعمرها

وأنني لم أمل بالذنب عن ديني

حسبي فؤادي ما تهتز نبضته

إلا بذكـــــرك في حب وتمكين

إني أحبك لا خوفاً ولا طمعاً

ولا اتخذت حبيباً عنك يلهيني

إن كنت أسأل عما قد أتيت به

من الشفاعة، إن الحب يكفيني[1]

وهذا الحب قريب من حب رابعة العدوية، فهي تحب الله لأنه جدير بهذا الحب فهو الودود القريب، الذي تأنس به النفس، تقول رابعة العدوية:

في هذا المعنى :

(١) علية الجعار: ابنة الإسلام، المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٦ ص٢٣.

أحــبك حــبين: حب الهــوى وحــــبـــــاً لأنك أهـل لذاك

فـــأمـــا الـذي هو حب الهـــوى فـشغلي بذاتك عـمن ســواك

وأمــــــــا الـذي أنـت أهـل لـه فكشفك لي الحجب حتى أراك

وقد أفردت علية الجعار لبعض أسماء الله تعالى الحسنى قصائد قصيرة فتحدثت عن خصائص هذه الأسماء، وقد جعلت كل اسم بخصوصيته وسيلة للدعاء والرجاء وطلب العون والعفو. فهي تبتهل إلى الله وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

تقول علية الجعار:

يا من خـــزائن جـــوده لا تنفـــد

وعطاؤه ونواله يتـــــجـــــــدد

هذي يدي تمتــد نحــوك ترتجي

فضلاً ولا أرجو سواك وأقصد

أنت الكريم وباب فـــضلك واسع

وأنا على أعتاب فضلك أسجد(١)

وهكذا فعلت الشاعرة مع أسماء الله وصفاته، ولا أعرف إن كان للحديث عن أسماء الله وصفاته مناسبة معينة دعت الشاعرة إليها أو أنه جاء وليد موقف أو لحظة شعورية قد مرت بها الشاعرة، غير أني أشعر أن القصائد كتبت ربما لكي تلقى في بعض الأماسي والندوات أو لتقدم في الإذاعة أو ما إلى ذلك، وهذا واضح من ثبات الصورة تقريباً وتكرار المعنى.

(١) ديوان ابنة الإسلام: ص - ١١٤.

ثانياً: مناجاة الرسول ﷺ:

ألهمت شخصية الرسول ﷺ الكثير من الشعراء قديماً وحديثاً، فهاموا به حباً وعشقاً في قصائدهم، باعتباره النموذج الإنساني الكامل، وقد رصد الناقد الدكتور حلمي محمد القاعود ما قاله الشعراء حديثاً في الرسول ﷺ في دراسته الوافية بعنوان «محمد ﷺ في الشعر الحديث»، حيث لا يكاد يخلو عصر من العصور أو مكان من الأمكنة من التغني بالرسول ﷺ رسولاً ومعلماً ومشرعاً وقائداً وإنساناً، حتى إن الشعراء النصارى أنفسهم وقفوا موقف التعاطف مع الشخصية المحمدية، بل تفوق بعضهم على بعض الشعراء المسلمين في التعبير عن ملامح الشخصية المحمدية [١].

ولا شك أن كثرة القصائد حول شخصية الرسول ﷺ تجعل مهمة الشاعر الحديث الذي يتحدث عن شخصية الرسول ﷺ مهمة صعبة، إذ عليه أن يتخلص من أسر الإبداعات السابقة عليه، وأن يتناول شخصية الرسول ﷺ من زاوية جديدة، بحيث تكون التجربة ثرية كثراء الشخصية المحمدية، ولعل هذا لا يتاح لكل الشعراء، إنما يتاح لبعضهم ممن سمت روحه ورقت نفسه.

ولا شك أن تجربة الإمام البوصيري - بالذات - في مدح الرسول ﷺ قد ألهمت الكثير من الشعراء فحاكوها وعارضوها وقلدوها، ومن أبرز هؤلاء محمود سامي البارودي وأحمد شوقي.

وقد رأينا أن الشاعرة الأستاذة علية الجعار قد تأثرت بقصيدة البوصيري تأثراً كبيراً حتى إن قصيدتها عن محمد ﷺ في ديوانها الأول «إني أحب» تحاكي هذه القصيدة الرائعة في كثير من معانيها وصورها وفي الوزن أيضاً. ولعل السبب في ذلك هو أن قصيدة الإمام البوصيري بطولها الكبير قد تناولت الكثير من جوانب شخصية الرسول ﷺ، كما كانت مفعمة بالصور الجميلة، ومشحونة بالعاطفة الحارة والصادقة.

(١) انظر حلمي محمد القاعود: محمد ﷺ في الشعر الحديث، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى.

obeikandl.com

وقد تحدثت علية الجعار في ديوانيها «على أعتاب الرضا» عن شخصية الرسول ﷺ من زاوية الشفاعة، فهو الحبيب الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم، وهي بذلك تبرر سبب حبها للرسول ﷺ الذي استحق الحب العميق من كل مسلم، لأنه لا يطلب لنفسه شيئاً ولا يريد حظوة إلا رضا الله وإنقاذ أمته من الهلاك.

تقول علية الجعار في قصيدتها: «شفاعة الحبيب» [١]:

إذا شقت عن الناس الصدور ... وحصل كل ما تخفي الصدور
وكل جاء يقرأ في كتاب ... وفيه كل ماضيه سطور
فلا يعفيه إنكار ونفي ... ولا ينجيه مال أو نصير
فبدا للمسلمين بشير خير ... وأشرق في دياجي التيه نور
محمد ساجداً لله يرجو ... ويشفع للعباد ويستجير
ينادي: أمتي يارب فارحم ... ولولاه لساء بناء المصير

والشاعرة تعود من آن لآخر لمدح الرسول ﷺ في قصائد قصيرة، سهلة المعاني صالحة للإنشاد، وبذلك تتحول المعاني المكتوبة والمقروءة إلى نغمات مسموعة، تتناسب مع قطاع كبير من الناس يحبون سماع الأناشيد المنظومة والتواشيح، تقول الشاعرة [٢]:

الله أكرمنا وأرسل أحمدا ... للحق والتوحيد يدعو والهدى
نور أهل على الوجود ورحمة ... بحر من الأخلاق فيض من ندى
عزت به الدنيا وأسفر صبحها ... والليل عنها من ضياه تبددا
بالذكر جاء وبالكتاب ولم يزل ... في العالمين مرتلاً ومرددا
والمؤمنون على الطريق تتابعوا ... كل بطه قد تأثر واقتدى
رب الوجود تباركت أسماؤه ... من نوره أهدى الوجود محمدا

(١) ديوان: على أعتاب الرضا: علية الجعار، ص١٥.
(٢) السابق: ص - ١٣.

وكم كنت أود لو أن الشاعرة تخلت - ولو بصورة مؤقتة - عن المتلقي الوهمي الذي يتشخص لها في معظم القصائد، حتى تترك المجال لنفسها الشاعرة للتحليق في عملها الشعري، وتتيح الفرصة لها لكي تبتكر صورها وأخيلتها. لكن الشاعرة آثرت البساطة والمباشرة على التصوير. وسوف أتعرض لذلك بالتفصيل عند دراسة الشكل الفني في شعر علية الجعار.

ثانياً: قضايا العالم الإسلامي وهموم الأمة المعاصرة:

ليس من شك في أن الشاعر الحقيقي الصادق مع نفسه هو الذي يعبر عن قضايا مجتمعه وهموم أمته. ومهما قيل عن ذاتية الشاعر أو موضوعيته، فإن عدم الاهتمام بقضايا المجتمع يعد عيباً جسيماً في الشاعر وفي فهمه لرسالة الشعر.

ولا شك أيضاً أن الشاعر وهو يتحدث عن قضايا مجتمعه، فإنه يتحدث عنها من خلال رؤيته الذاتية ونظرته الخاصة.

وهموم العالم العربي والإسلامي كثيرة ومتعددة وخاصة في القرن العشرين حيث شهد هذا القرن سقوط الخلافة الإسلامية، وقيام دولة إسرائيل، وتمزق العالم الإسلامي، وضعفه الشديد، بالإضافة إلى ما تتعرض له الأقليات الإسلامية في أماكن كثيرة من العالم إلى حرب إبادة، مثلما حدث في البوسنة وكوسوفا وفي كشمير والهند وغيرها.

وقد فرضت هذه الموضوعات نفسها على الشاعر المعاصر وكان لها حضورها عند معظم الشعراء، نراها عند شوقي وحافظ وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وأمل دنقل وفاروق شوشة وفاروق جويدة، كما نراها عند علية الجعار بشكل واضح، وقد أرجعت السبب في تخلف المسلمين وتخاذلهم إلى بعدهم عن الدين الإسلامي فأرجعت ما يحدث للمسلمين بأيديهم وأيدي أعدائهم إلى تخليهم عن جوهر الدين الصحيح، كما أنها خصت المؤمنين بحديث طويل ومتكرر لكي يستفيقوا من نومهم وينتبهوا إلى الخطر المحدق بهم من كل اتجاه.

ففي قصيدة «العار» نفثة مصدور، وأنين قلب مكلوم، وصرخة لكل المتخاذلين عن نصرة القضايا العربية والإسلامية:

الأرض من تحتنا يا قوم تلتهب أين المفر من النيران والهرب

كنا نياماً وهزتنا فجيعتنا فمنا ومن حولنا الأيام تضطرب

فالأرض تسلب والأموال تنتهب والناس تقتل والأعراض تغتصب

منا قتيل ومنا نحن قاتله لم يشفع الدين والأرحام والنسب

إلى أن تقول:

عار علينا جيوش الغرب تنصرنا هذا من الله -جل جلاله- غضب

الله كرم بالقرآن أمتنا هل أنتم أمة القرآن يا عرب

خلفتموه وغرتكم بفتنتها تلك الحياة وهذا الجاه والذهب

هذا جزاء يوم الفصل موعدكم إني أراه بظهر الغيب يقترب (١)

ولعل هذا الذي يحدث للمسلمين من هزائم وضعف وهوان سببه المسلمون أنفسهم، فكم ادعوا الإيمان والإسلام والصدق والتجرد في الظاهر، لكنهم كانوا في أعماق نفوسهم متناحرين متصارعين، لا ينصر بعضهم بعضاً ولا يحب بعضهم بعضاً، ولذلك فإن ما رسمته الشاعرة لواقع المسلمين - وإن بدا قاتماً متشائماً - يتفق مع سنن الله في خلقه، فهناك قوانين للنصر والتمكين في الأرض، حيث يقتضي ذلك حسن الإعداد والالتزام والأخذ بالأسباب، وهو ما يفتقده المسلمون اليوم.

على أن الشاعرة في فورة حماستها وثورتها، لم تبتعد عن التصور الإسلامي مثلما فعل نزار قباني في قصيدته «متى يعلنون وفاة العرب» ، حيث امتلأت القصيدة باليأس والإحباط، ولم تضع تصوراً للخروج من الأزمة، أو حلاً لما يعانيه العرب والمسلمون من ضعف وهوان، فعلية الجعار تستنهض العرب والمسلمين في

(١) على أعتاب الرضا: ص١٣٥.

قصيدتها وإن كان استنهاضها لهم يتم بقسوة أحياناً، بعرض الواقع الأليم، لكنه لا يخلو من الأمل والرجاء في قدرة الله التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء..

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

وفي قصيدتها «مذابح المسلمين» والتي تعد أطول قصائدها على الإطلاق وعددها ثلاثة وأربعون بيتاً، إذ إن نفس الشاعرة الشعري ليس طويلاً، تنفعل الشاعرة بما يحدث للأقليات الإسلامية وخاصة ما يحدث في البوسنة والهرسك على مرأى ومسمع من العالم كله.

وتبدأ الشاعرة خطابها لأبناء دينها، فهي تعتقد أن الحل بأيديهم هم، وليس بأيدي غيرهم.

أعلنوها أبناء ديني مراراً أطلقوها ورددوها شعاراً

أيها المسلمون هيا استفيقوا نحن مستهدفون دينا ودارا (١)

ولأن الحرب التي كانت تدور في البوسنة والهرسك حرب دينية في جوهرها وحرب عرقية كذلك فقد استخدمت الشاعرة في نداء المسلمين تعبير «أبناء دين»، فالدين هو المقصد وهو المستهدف، ولذلك فقد تكرر بلفظه في البيت الثاني، حيث يستهدف أعداؤنا ديننا في المقام الأول. غير أن أفعال الأمر التي اختارتها الشاعرة «أعلنوها.. أطلقوها.. رددوها.. استفيقوا» . لا تدخل في نطاق الفعل الإيجابي، إذ تكتفي بالإعلان والتصريحات وترديدها وهي أفعال سلبية، ومع ذلك فهي غير موجودة، كما أن المسلمين غير قادرين عليها في الوقت الراهن، وكأن الشاعرة رضيت في بداية قصيدتها بالحد الأدنى المقبول وهو مجرد الإعلان.

وحتى يتحول هذا الإعلان اللساني إلى قوة فاعلة، تعرض الشاعرة لصور مأساوية خالية من المبالغات ومع ذلك فهي لا تخلو من المرارة والأسى:

(١) السابق: ص ١٣٨.

أصبح المسلمون في الأرض صيداً يحكم المعتي عليه الحصارا
والحروب التي توالت علينا خلفت فوق أرضنا استعمارا
أشبع المسلمين ذلاً وقهراً واحتلالاً واستعبد الأحرارا
واكتوينا من كل حرب بنار يمنة كان وجهه أو يساراً
كل شبر نعيش فيه جريح ليس يلقى أمناً ولا استقراراً
يحصر المسلمون في الهند حصداً والفلبين تقتفي الآثارا
في فلسطين ذبّحوهم وبورما والضحايا في كل أرض توارى

وهذه الصور غيض من فيض، وهي مسألة مروعة حقاً أن يحدث ما يحدث للمسلمين من إبادة وهمجية في وقت واحد وفي أماكن مختلفة، ولكن ما الحل؟ إن الكثير منها لا يجهل هذه الصورة البشعة، فوسائل الإعلام تنقل لنا أخباراً مروعة، وتنقل لنا صوراً منها.

إن الشاعرة تعرض علينا بعض الحلول في معرض حديثها عن مآسي المسلمين ومذابحهم، فهل نلجأ إلى مجلس الأمن لكي يحمينا؟.

كم صرخنا في كل واد هباءً واستغثنا فلم نجد أنصاراً
مجلس الأمن إن أتيناه نشكو غض عنا أبصاره واستدارا

بل إن عصبة الأمم في رأي الشاعرة عبارة عن عصابة متآمرة ضد مصالح المسلمين وهي لا تتورع عن إظهار ذلك في كثير من المناسبات:

عصبة بيتت لنا كل شر لاتداري أو تدعي الإنكارا

والدليل على ذلك طول سكوتهم عن الصرب، وعدم سماحهم للمسلمين في البوسنة بالتسلح للدفاع عن أنفسهم، بزعم أنهم يخشون من اشتعال الموقف واستفحاله، وكأن كل ما ارتكبه الصرب من مجازر وحشية وإبادة كان نزهة أو ترفيهاً لا يستحق تدخل الأمم المتحدة.

إذن ما السبيل إلى نهوض المسلمين والخروج من أزمتهم؟ ليس هناك سوى رفض الواقع المرير الذي يعيشون فيه، وعودة الروح الإسلامية إلى صفوفهم، وتحقيق حلم الوحدة والجهاد في سبيل الله.

أيّ عار أصابنا أي عار — كيف نغضي ولا نرد العارا
الجهاد الجهاد يا قوم هبوا — قد أطلتم يا قومنا الانتظارا
كيف ماتت أخوة الدين فينا — أصبح الحب بيننا مستعاراً
ثم عشنا في فرقة واختلفنا — وافتقدنا الوفاء والإيثارا
لم يعد بعضنا لبعض ظهيراً — كالجدار الذي يشد الجدارا
وابتعدنا عن ديننا وانحرفنا — فابتلينا هزائماً واندحارا

رابعاً: الحديث عن الأولياء والصالحين:

ربما كان لنشأة علية الجعار في مدينة طنطا أثر في حديثها عن الأولياء والصالحين، وفي البداية أحب أن أؤكد أن فكرة الولاية على صورتها الحالية فكرة صوفية، وهي على هذا النحو يشوبها الكثير من القصور والانحراف عن التصور الإسلامي الصحيح، لأنها تقصر فكرة الولاية على أشخاص بعينهم، لكن الولاية في الفكر الإسلامي الصحيح تتسع وتشمل كل المسلمين. فالله ولي المؤمنين، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين، والله ولي الصالحين..

وقد تحدثت علية الجعار في بعض قصائدها عن الحسين سيد الشهداء والسيدة زينب وغيرهما، ولاأدري ما المناسبة التي دعت الشاعرة لذلك، وهل جاء شعرها رداً على بعض المتعصبين أو المغالين في حب آل البيت أو بغضهم، لكن الواضح أن الشاعرة لا توظف هذه الشخصيات توظيفاً فنياً تعبر به عن قضايا اجتماعية وسياسية، لكنها تكتفي بإظهار حبها وتقديرها لآل البيت تقرباً بهذا الحب لله:

وقد أوقفت بالأعتاب قلبي حسيني الهوى صباً وفيّاً
فمر تفتح له الأبواب وصلاً وأطفئ شوقه وأنظر إليا
فإن حزت الرضا أرضيت ربي فحبك سيدي فرض عليا[١]

وتقول عن حبها للسيدة زينب في قصيدة: «إني أحبك أنت»:

يا من تملكت مني فكري وجهري وصمتي
هذي أنا فاقبليني في ركب من أحببت
يا بنت بنت حبيبي وسيدي يا ستي[٢]

وعلى ذلك فإن شعر علية الجعار في حب آل البيت، ينبع من حبها للرسول ﷺ، وإن كان التأثر بالنزعة الصوفية الشعبية موجوداً في هذا الشعر، ويبدو ذلك في التعبير العامي «يا ستي» ونداء الأموات كأنهم أحياء.

أما الحديث عن المؤمنين والصالحين والأتقياء، فإن الشاعرة ترسم فيه صورة مثالية لما ينبغي أن تكون عليه حياة هؤلاء، حيث رسمت صورة المؤمنين شعراً من خلال ما جاء في القرآن الكريم، فهم القائمون الذاكرون الشاكرون الصابرون.. إلخ، فهي تترجم بعض معاني القرآن شعراً.

ويتضح من مضمون هذا الشعر أنه شعر دعوة، حيث تتخذ الشاعرة من الشعر وسيلة لحث المؤمنين على الالتزام والطاعة والبر والرحمة وإن كان ذلك بشكل مباشر، فتحت عنوان «وعلى ربهم يتوكلون» كتبت تقول:

لا يطلبون العون من إنسان لا يلجؤون إلى الضعيف الفاني
الله حسبهمُ تعالى قدره مَنْ عنده عون سوى الرحمن
الملك والملكون ملك يمينه تسري مشيئته على الأكوان
يتوكلون عليه وهو نصيرهم ويرد حسن الظن بالإنسان[٣]

(١) على أعتاب الرضا: ص ٢٤ .
(٢) السابق: ص٣٠.
(٣) السابق: ص ٦٠.

خامساً: الحديث عن المرأة:

لم أجد فيما بين يدي من شعر علية الجعار شعراً يدور حول المرأة، باستثناء ماجاء في الديوان الأول: «إني أحب»، حيث تحدثت عن عواطف المرأة ومشاعرها وأحاسيسها، ولم يكن هذا الشعر ملتزماً بالتصور الإسلامي الصحيح لأنه جاء في فترة مبكرة من حياة الشاعرة، وقد تحدثت عن ذلك في بداية الدراسة كمدخل لعالم الشاعرة من أجل رصد التحولات في عالمها الشعري.

وفي ديوانها «ابنة الإسلام» توجد قصيدة يحمل الديوان اسمها، تحدثت فيها الشاعرة عن المرأة المسلمة كما تراها وكما تتمنى. هذا إلى جانب بعض القصائد التي تدور حول بعض الشخصيات النسائية في تاريخ الإسلام كالحديث عن السيدة عائشة والسيدة زينب، وباستثناء ذلك، لا يوجد شعر لعلية الجعار عن المرأة.

هذه الملاحظة يمكن أن تثير تساؤلاً مهماً: أين صورة المرأة في شعر الشاعرة المسلمة؟ ولماذا توجهت بالخطاب إلى الرجل والمرأة على السواء بدلاً من أن تتوجه بالخطاب إلى بنات جنسها؟ وأين عواطف المرأة المسلمة وطموحاتها وخاصة في هذا الوقت بالذات الذي تكثر فيه الدعوات النسوية المتطرفة في الشرق والغرب؟ فقد ظهر في الغرب دعوات فيها مغالاة للانحياز للمرأة، ورفض التعامل مع عالم الرجل تماماً، وتخطي الثقافات واللغات في سبيل وحدة المرأة في كل مكان[1]. ولذلك كنت أود من شاعرة إسلامية مثل الأستاذة علية الجعار وغيرها من الأديبات المسلمات أن يتصدين لمثل هذه الدعاوى، ويتناولن بالرصد والتحليل الدقيق الموضوعات المثيرة للجدل الخاصة بالمرأة، وأن يبرزن التصور الإسلامي الصحيح لهذه الموضوعات، وذلك في شكل فني جذاب وموضوعي.

وإذا تأملنا في شعر علية الجعار القليل عن المرأة، نجد أنها تحدثت عن المرأة المسلمة بشكل عام، وتنزع فيه إلى المثالية، فقد تحدثت في قصيدتها «ابنة الإسلام»

(١) د. محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديث، لونجمان، ط٢، ١٩٩٧م ص٣٠.

obeikandi.com

عن مكانة المرأة في الإسلام بعد أن كانت كمّاً مهملاً وعبئاً على الأسرة في الجاهلية، فصارت في الإسلام راوية للحديث، ومجاهدة في سبيل الله، وأُمّا للمؤمنين، وخطيبة للنساء.. وغير ذلك. تقول علية الجعار:

في الجاهلية كنتُ كمّاً مهملاً ... وأنوثتي عار يسير ورائيا

وكذا.. مضيعة الحقوق ذليلة ... إن لم يئدني في الطفولة آليا

كفر وعصيان وكبر جهالة ... في أفق عمري كان يجثم داجيا

فرفعت كفي للسماء لعلها ... تحنو وتشرق بالضياء سمائيا[1]

وعندما جاء الإسلام، وجاءت رسالة محمد ﷺ حدث تحول كبير، وتغير وضع المرأة ومكانتها:

حتى أضاء الكون نور محمد ... صلى عليه الله نوراً هادياً

فتشبثت روحي به وبدينه ... وتحطمت في ظله أغلالياً

وأعزني الإسلام وارتفعت به ... رأسي، وأرسى في الحياة مكانيا

وتمضي الشاعرة في تصوير نموذج المرأة المسلمة عبر التاريخ حتى تصل إلى المرأة المسلمة المعاصرة، التي تنتسب إلى هذا الرعيل من النساء الفضليات المجاهدات:

فأنا نسيبة بنت كعب واسمها ... سيظل رمزاً للشجاعة باقيا

يا سائلاً عني، أنا بمحمد ... قد هذبت وتأثرت أخلاقيا

النبل والخلق العظيم صفاته ... ومن الرسول قبست كل صفاتيا

يا سائلاً عني وعن أبنائيا ... إني أتيه على الزمان بجاهيا

فأنا ابنة الإسلام أكرم والد ... حسبي من الدنيا به نسباً ليا

---

(١) ابنة الإسلام: ص٣١.

ويعتبر حديث الشاعرة عن السيدة عائشة والسيدة زينب ترجمة لبعض المواقف في حياتها بصورة أقرب إلى النثر، ولم توظفهما في ثنايا الشعر باعتبارهما مثلين صالحين من وجوه كثيرة للتوظيف الفني والفكري.

فهي تقول عن «عائشة أم المؤمنين» رضي الله عنها:

من مثل عائشة النبوة.. من له ... في الدين فقه مثلها وعطاء

حسناء في عمر الزهور يزينها ... عقل كبير ناضج وذكاء

تلميذة في بيت خير معلم ... تقتات منه العلم كيف تشاء

جبريل يوحي والنبي مرتل ... أي الكتاب وكلها إصغاء

وهي النقاء مجسداً ومؤكداً ... فالطهر تاج والعفاف رداء (١)

إلى أن تقول:

حازت لدى قلب الرسول مكانة ... ما طاولتها في الفؤاد نساء

فهي ابنة الصديق صاحب أحمد ... والخير فيما أنجب الكرماء

ولعل الحديث عن شخصية ثرية كشخصية السيدة عائشة على هذا النحو الشمولي الذي يشبه الترجمة الموضوعية، من شأنه أن يضعف الناحية الفنية في القصيدة، فكان من الأفضل للشاعرة أن تتناول جانباً واحداً من جوانب الشخصية وتتعمق هذا الجانب وتوظفه لخدمة قضية معينة، وهذا يجعل القصيدة متماسكة البناء قوية الحبكة.

سادساً: شعر المناسبات:

الكلام عن شعر المناسبات كثير، وهو مبسوط في كتب النقاد ودارسي الأدب، غير أني أود أن أسجل في البداية أن شعر المناسبات ليس كله معيباً بالضرورة، وإذا

(١) على أعتاب الرضا: ص٣٣.

obeikandi.com

كان أهم ما يوجه إلى شعر المناسبات من نقد هو افتقاد الشاعر للصدق والعاطفة، لأنه - في الغالب - يكتب بحسب ما تتطلبه المناسبة، فإننا لا نستطيع أن نجرد كل الشعراء من صدق العاطفة في كل ما يكتبون.

ولعل كتابات الشاعر الكبير فاروق شوشة في المناسبات الإسلامية كشهر رمضان والعيدين وغير ذلك خير دليل على ما أقول، حيث تواكب أشعاره المناسبة الدينية، كما أنها لا تخلو من عاطفة صادقة ولغة أدبية جميلة.

غير أن أهم ما آخذه على الشاعر في هذا الجانب هو أن يستكتب بدعوة من جهة أو هيئة معينة، لا أن تكون لديه الرغبة في الكتابة، عندئذ يمكن أن يشعر القارئ بالفتور نحو هذا الشعر، ويدرك بسهولة أن شعره مصنوع مسبوك.

والشاعرة علية الجعار كتبت شعر المناسبات، فهي من المشاركات بشكل إيجابي وفعال في المؤتمرات والندوات والأمسيات الشعرية، ولذلك فإن الأحداث الإسلامية المهمة والمناسبات الإسلامية تفرض نفسها على شعر الشاعرة، فنجد الشاعرة تتحدث عن الكثير من المناسبات الإسلامية.

فمن شعرها عن شهر رمضان:

وإن هل بالنور شهر الصيام ... يجود به الله في كل عام

وصمنا له طاعة في النهار ... وقمنا له خشعاً في الظلام

جرى الفضل منه على الصائمين ... بفيض التقى والرضا والسلام

فيكرمنا بامتداد العطايا ... ويمنحنا العفو يوم الزحام

فسبحانه ما توالى الزمان ... وما صام عبد وصلى وصام[1]

كما كتبت الشاعرة حول ما يحدث للمسلمين في أنحاء العالم المختلفة، وأحسب أن الحدث هو الذي يفرض نفسه على الشاعرة، وقد تعرضنا لذلك بالتفصيل عند الحديث عن هموم الأمة الإسلامية في شعر علية الجعار.

(١) ابنة الإسلام: ص ١٨.

غير أني أود أن أهمس للشاعرة بأن تحاول استثمار المناسبة نفسياً ووجدانياً بالنسبة للمتلقي، وذلك عن طريق تعميق إيحاءات هذه المناسبة، فأنا على يقين أننا لو سبرنا غور المناسبة لمنحتنا الكثير من أسرارها.

كانت هذه هي أهم الأغراض الشعرية التي عالجتها الشاعرة علية الجعار، وهي تدور أغلبها حول المعاني الإسلامية النبيلة، وتتغنى بحب الله وتسبيحه، ومناجاة الرسول ﷺ النموذج الإنساني الفذ، كما تعالج قضايا الأمة الإسلامية المختلفة، ولا تخلو من مواكبة المناسبات.

وقد رأينا أن الشاعرة تصدر في رؤيتها عن التصور الإسلامي في أكثر ما كتبت، وإن كان هناك بعض ما يشوب هذه الرؤية، فهو قليل يمكن تداركه فيما بعد، وهو يتمثل في بعض آثار التصوف الشعبي، ولا شك أن للبيئة أثراً كبيراً في ذلك.

الشكل الفني في شعر علية الجعار:

الشكل الفني من أهم القضايا التي يجب أن يوليها الأدب الإسلامي اهتمامه، والشكل - كما هو معروف - ليس حيادياً على الإطلاق، إذ إنه يرتبط بالمضمون الفكري ارتباطاً وثيقاً، ولا يجوز أن يدفعنا حسن النية إلى قبول كافة الأشكال الفنية، بل يجب أن نبحث في خصوصية الشكل في الأدب الإسلامي، في كل فن على حدة، في الشعر، والقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية، والمقالة.

ولا أعتقد أن وضع معايير ومقاييس لطبيعة هذا الشكل يدخل في عمل الناقد، ولكنه في المقام الأول من عمل المبدع، لأن المبدع بما يملكه من معايشة للإبداع أقدر على ابتكار أشكال فنية متعددة.

يجب ألا يخلو الأدب الإسلامي - إضافة لهذه الخصوصية - من التمتع بالأسلوب الفني الجميل واللغة الجذابة، لأن ذلك هو عماد الأدب الجميل، وإذا افتقد الأدب ذلك، فلا يصح أن نطلق عليه لفظ «أدب»، ولا يشفع له مضمونه الإسلامي في تبوؤ مكانة لا يستحقها. والحق أن لغة الشاعرة بسيطة وسهلة، كما

أن صورها الشعرية مأخوذة من الواقع، وتميل إلى البساطة وتخلو من التعقيد والتركيب، فهي تهتم بالصورة البسيطة التي تؤدي من خلالها المعنى.

تقول في قصيدة «الله جميل» (١):

مر الربيع على الرياض فأينعت

فيها الزهور وكل غصن أورقا

وجرى النسيم مداعباً أشجارها

يسري كما يهوى رخاء مطلقا

الماء يجري في الغدير مفضفضاً

عند الأصيل مذهباً متدفقاً

والبدر يخفي بالغمام جماله

فيزيد من خلف الغمام تألقا

إن مس هذا الحسن قلباً جامداً

رقت مشاعره وآمن واتقى

سبحان من صاغ الجمالَ جمالُه

بالحسن فاض على الوجود وأغدقا

فالوصف في القصيدة وصف «فوتوغرافي»، يكاد ينقل لنا لوحات من الواقع، دون أن يلونها بعواطف الشاعرة، وقد وظفته الشاعرة للتأثير على المتلقي، والوصول إلى غرضها الأساس، وهو أن وراء هذا الحسن البديع إلهاً جميلاً، صاغه بجماله وحسنه، كما أن الوصف في هذه اللوحة يتميز بالثبات والهدوء، ويفتقد إلى الحركة والتفاعل، لأنه يرصد ما هو كائن في هدوء وسكينة.

ولو نظرنا إلى معجم الشاعرة بألفاظه وصوره وعباراته، لوجدناه متأثراً إلى حد كبير بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي والإسلامي. ويتضح

(١) ديوان ابنة الإسلام: ص٦٢.

obeikandi.com

هذا من عناوين بعض قصائدها القصيرة، حيث وضعت لكل قصيدة عنواناً عبارة عن جزء من آية كريمة أو مقولة تراثية مثل: الركع السجود، ومما رزقناهم ينفقون، وعلى ربهم يتوكلون، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، خير الزاد التقوى، من يطع الرسول فقط أطاع الله.. إلخ [١].

وهذه الآيات تقوم بوظيفة داخل القصيدة، حيث تهيئ المتلقي نفسياً للدخول في الموضوع الذي تطرحه القصيدة، كما أن الشاعرة توظفها في سياق القصيدة بشكل يخدم الغرض الشعري، فهي تجعل الآية الكريمة في صدر القصيدة لكي تنطلق من خلالها إلى ما تريد، فهناك رابط ما بين الآية الكريمة وما تتحدث عنه الشاعرة، وإن كان ذلك يتم بشكل مباشر.

ويتضح هذا في توظيف الشاعرة لقوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [٢].

حيث تدخل إلى عالم الدعاء والمناجاة مع الله سبحانه من خلال ترجمة معاني هذه الآية الكريمة.

تقول علية الجعار [٣]:

يارب عفواً إننا ضعفاء ... ينتابنا النسيان والأخطاء

جئنا إليك مسلمين بذنبنا ... فارحم عباداً أخطؤوا وأساؤوا

رفقاً بنا ياربنا وبضعفنا ... طين خلقنا منه نحن وماء

يارب غفراناً فأنت ملاذنا ... إن مسنا عبر الحياة عناء

(١) انظر ديوان «على أعتاب الرضا» وديوان «ابنة الإسلام».

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) ابنة الإسلام: صـ ٨٢.

كما تستلهم الشاعرة الموروث الشعري العربي وخاصة شعر المدائح الصوفية وهي متأثرة في قصيدتها عن محمد ﷺ تأثراً مباشراً بقصيدة «البردة» للبوصيري، ويظهر ذلك للوهلة الأولى من ملاحظة مطلع قصيدة الشاعرة [١]:

ما الجاه، ما المال، ما الأبناء، ما الخل؟

ما الروح، ما القلب، ما الإحساس، ما العقل؟

فهذا المطلع باستفهامه الاستنكاري، واختيار تفعيلة بحر البسيط «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن» يذكرنا بمطلع البردة:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقله بدم؟

وقول الشاعرة:

محمد سيد الدنيا ورحمتها من لفحة الكفر أنت الفيء والظل

أنت العظيم الذي رباه خالقه أنت الرسول الذي ائتمت بك الرسل

يذكرنا بقول البوصيري:

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

وهذا التعلق أو التأثر الكبير بشعر البوصيري درجة من درجات استلهام التراث، لكن الشاعرة تأثرت بشعر البوصيري بشكل مباشر، وكان يكفي أن تشير في ثنايا قصيدتها إلى قصيدة البوصيري، حتى تتيح الفرصة لذاتها الشاعرة كي تعبر عما يعتمل بداخلها، وحتى يكون استلهام التراث إضافة له وإنتاجاً لدلالة جديدة، وليس إعادته كما هو.

وعلى أية حال فشعر علية الجعار بسيط وسهل المأخذ، وهذا ليس عيباً، خاصة إذا كانت الشاعرة تتوجه بشعرها إلى الجمهور، كما أنه يعتمد على الصورة البسيطة غير المعقدة المأخوذة من الواقع، وقد وظفت التراث في شعرها - وإن كان ذلك

(١) السابق: ص ٨.

obeikandl.com

بصورة بسيطة للغاية، لكنها على أية حال قادرة على تفعيل التراث داخل قصائدها، فالتراث معين لا ينضب، شرط أن نتعمقه ونتعمق دلالاته وإيحاءاته.

والله ولي التوفيق.

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع:

١- علية الجعار:

- ابنة الإسلام، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٦م.

- إني أحب توزيع دار المعارف، ط١، ١٩٦٨م.

- على أعتاب الرضا، آمون للطباعة، ١٩٩٣م.

٢- د. حلمي محمد القاعود:

- محمد ﷺ في الشعر الحديث، دار الوفاء، المنصورة، ط١.

٣- د. محمد عناني :

- المصطلحات الأدبية الحديثة، لونجمان، ط٢، ١٩٩٧م.

٤ ب. م. كربرشويك:

- الإبداع القصصي عند يوسف إدريس، ترجمة رفعت سلام، دار شهدى، القاهرة، ١٩٨٦م.

obeikandl.com